Journal of Humanities and Social Sciences
Volume (3), Issue (7) : 30 Jul 2019
P: 65 - 79

AJSRP
ISSN: 2522-3380

مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية
المجلد (3)، العدد (7) : 30 يوليو 2019 م
ص: 65 - 79

Eastern features as reflected in the poetry of Hafiz Ibrahim

Meraj Ahmad Meraj Al-Nadawi
Aliah University || Kolkata || India

Abstract: Hafiz Ibrahim, 'The Nile Poet' is one of the great literary revival poets in the history of modern Arabic literature. He is the heartbeat of the River Nile. His poetry was characterized by patriotism, charming rhythm and deep impact on recipients. Ibrahim's poetry teemed with innovative themes and covered all walks of life. He used in his poetry the classical Arabic system of meter and rhyme, but expressed new ideas and feelings, including poetry with political and social commentary. It is in his elegies that Hafiz Ibrahim reached heights not attained by any other poet in modem times. Hafiz is a Nationalist poet who envisioned East in deep sleep and he criticized the Eastern man who is indifferent to events in his country. He invited human to wisdom, contemplation and thought. Hafiz Ibrahim, incompatibility of eastern countries caused their retardation and the unity was a secret of their success. Hafiz Ibrahim established an empire of poetry and built up to the ideals of humanity and national and patriotic purposes, not only in Egypt that go beyond its plans to the East and the world. The aim of this paper is to explore a fairly detailed description of the life of Abraham Hafiz, his poetic journey, poetic intentions and his views and thoughts on eastern people, literature, culture and philosophy.

Keywords: The poet Hafez Ibrahim, National tendencies, Human tendencies, Pharaonic civilization, Eastern features.

الملامح الشرقية في شعر حافظ إبراهيم

معراج أحمد معراج الندوي
الجامعة العالية || كولكاتا || الهند

الملخص: يتبوأ شاعر النيل حافظ إبراهيم منزلة سامقة في رياض الشعر العربي الحديث. لقد أثبت حافظ إبراهيم حضوره الفاعل في طليعة الرواد الشعر العربي الذين أسسوا دعائمه وأثبتوا قوائمه وأعادوا رصانته المفقودة وردوا إليه الحياة والروح. كان حافظ إبراهيم شاعر الفكرة الشرقية، تلمع في كل قصائده اللمعات الإنسانية والملامح الشرقية مباشرة أو غير مباشرة. إن قلب حافظ كان معمورا بالنزعات الاجتماعية وشخصيته كانت ملونة بالروح الشرقية. لم يكن حافظ فردا واحدا يعيش لنفسه، إنما كانت مصر كلها والشرق كله، بل الإنسانية كلها تعيش في شخصيته وتحس بحسه وتتألم بقلبه وتفكر بعقله وتنطق بلسانه. حاول حافظ إبراهيم أن تكون نغماته الشجيعة مبعث نهضة جبارة في الشرق كافة. تستهدف هذه الدراسة إلى بيان الرؤية الفكرية والملامح الشرقية كما تنعكس في شعره وفنه.

الكلمات المفتاحية: الشاعر حافظ إبراهيم، النزعات الوطنية، النزعات الإنسانية، الحضارة الفرعونية، الملامح الشرقية.

المدخل:

كان النصف الثاني من القرن التاسع عشر إيذانا بظهور تيّارات فكرية ومذاهب أدبية، تعدّدت مشاربها وتنوّعت مرجعيّاتها الفكرية، فتباينت بذلك أشكالها التّعبيرية وآلياتها الفنّية وفق أسس شعرية، رأى فيها أصحابها القدرة على حمل تجارب العصر الجديد. كان حافظ إبراهيم أحد رموز مدرسة الإحياء في الشعر العربي. كتب بعض الكتب في حياته وتركَ خلفه ديوان شعرٍ من جزأين. عُرفَ بشاعر الشعبِ وشاعر النيل. لُقب كذلك بشاعر الشعب

لتعبيره عن أبناء النيل، إحدى عجائب زمانه، ليس فقط في جزالة شعره، بل في قوة ذاكرته التي قاومت السنين ولم يصبها الوهن والضعف. كانت له رؤية جديدة للأمة العربية والأمم الشرقية، تمكن من استخدام أسلوب الشيق في المشكلات المجتمع المصري والقضايا الاجتماعية والوطنية والإنسانية. جاءت قصائده رقيقة ذات نزعة إنسانية وسمات شرقية، إنها فيض من الغناء والإحساس الصادق والتعبير الفني والصور الجميلة التي تحمل العاطفة الإنسانية السامية.

كان حافظ إبراهيم نبراسا للشعراء العرب ومنارا للعصر الحديث. قرض حافظ قصائد كثيرة حول عناوين شرقية وثقافة عربية وأحدث لونا جديدا في الشعر العربي الحديث. استخدم إبراهيم قدرته الشعرية ومواهبه الأدبية والفنية في نشر عقيدته وشعوره ودعوته. رأى حافظ بأن الوحدة العربية والتضامن بين الدول العربية هو رمز بقاء الثقافة العربية في العالم. كان حافظ ابراهيم من رواد الشعر الحديث الذين أسسوا دعائمه وأثبتوا قوائمه وأعادوا رصانته المفقودة وردوا إليه الحياة والروح حتى أصبح الشعر العربي يعبر عن أمال الأمة العربية وآلامها وهمومها ومشكالها. بادر حافظ إبراهيم في تجديد الشعر العربي الحديث وقام بإنعاشه من الأغلال الثقيلة والأغراض القديمة واتصاله بالحياة الاجتماعية. قرض حافظ ابراهيم الشعر الذي كان يلائم بالروعة القديمة ويوافق بالمقتضيات الحديثة وأعرب من خلاله عن تجاربه الذاتية وخلجاته النفسية. يمتاز أسلوبه بالإحساس الباهر ودقة التحليل في طرح القضايا الاجتماعية والأدبية والفكرية.

الدراسات السابقة:

هناك دراسات مختلفة حول حافظ إبراهيم وشعره وأدبه، ومنها "حافظ إبراهيم شاعر النيل" للشيخ كامل محمد عويضة (1993) يحتوي هذا الكتاب على قراءة أسلوبية لشعره، يتحدث المؤلف عن المعجم الشعري في فكره. يشتمل على دراسة لبناء الجملة في ديوانه ويعيد النظر في شعره. هناك كتاب "حافظ إبراهيم شاعر الشعب وشاعر النيل" ليوسف نوفل (1997). لقد اهتم المؤلف في هذا الكتاب أن يقدم صورة جديدة للشاعر من خلال حياته وسيرته. وهناك كتاب "حافظ إبراهيم: دراسة تحليلية لسيرته وشعره" لسعيد محمود عبد الله (1999). يسلط هذا الكتاب الأضواء على سيرة الشاعر وشعره الاجتماعي والوطني مشيرا إلى جزء من شعره الشكوى. وهناك دراسات أخرى نحو "الأخلاق في شعر حافظ إبراهيم" لفوزية بنت عبد الله (2010). وفي الحقيقة هي رسالة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي من جامعة أم القرى، تتناول الباحثة في هذا البحث عن القصائد التي تتحدث عن أهمية الأخلاق والسلوك في حياة الإنسان.

وهناك مقالات وبحوث عن هذا الشاعر العبقري مثل "نقد قصيدة البنات للشاعر الكبير حافظ إبراهيم" لأكرم سادات مير ممتاز نشرت في مجلة آفاق الحضارة الإسلامية، تهتم هذه المقالة من شخصية الشاعر الاجتماعية وتنقد آرائه في العالم العربي. وهناك مقالة "الموسيقى في الشعر الاجتماعي عند حافظ إبراهيم" لإبراهيم زراعي فر. يتحدث هذا المقال عن الموسيقى الداخلية والخارجية في شعر حافظ إبراهيم الاجتماعي. فهناك بحوث ودراسات مختلفة ومتنوعة حول حافظ وشعره وأدبه، يجدر الانتباه على هذه الدراسات تستوجب الإشادة.

الجديد في هذا البحث:

أما الجديد في هذا البحث فهو دراسة الملامح الشرقية في شعر حافظ إبراهيم كما تتجلى في قصائده المختلفة. وهذا الجانب المهم من جوانب شعره الذي لم يهتم الباحثون الآخرون، وبالنظر إلى أهمية هذه الناحية من شعره ، يركز الباحث على النزعات الإنسانية والروح الشرقية التي تلمع في أبياته المتنوعة. يرى الباحث أن حافظ إبراهيم قد حاول أن تكون نغماته الشجيعة مبعث نهضة جبارة في الشرق كله، لأن شخصيته كانت ملونة بالروح

الشرقية الأصيلة. كان حافظ شاعرا مبدعا جريحا بهموم الأمة العربية والأمم الشرقية، يدافع من خلال قصائده عن قضية الحب والإنسانية والحرية فوق الأرض.

مشكلة البحث:

إن الموضوع الذي اختاره الباحث للدراسة قد زادت أهميته في العصر الحاضر من حيث لا توجد البحوث والدراسات التي تناولت الملامح الشرقية في شعر حافظ إبراهيم، ولم تعثر أي دراسة على الروح الشرقية ووصفها في شعره على الرغم من كثرة هذا اللون في قصائده وتصويره لكثير من شؤون مجتمعه وقضايا عصره، فإن قلة الدراسات التي تركز على هذا الجانب المهم من جوانب شعره أقنعت الباحث أن هذا الموضوع **"الملامح الشرقية في شعر حافظ إبراهيم"** يستحق للدراسة والبحث من هذه الناحية.

منهج البحث:

اعتمد هذا البحث على المنهج التحليلي الوصفي، قام الباحث بتحليل القصائد التي قرضها حافظ إبراهيم في وصف الروح الشرقية. يقوم صلب هذا البحث على القضايا الاجتماعية والسياسية السائدة في المجتمع المصري من الناحية الخاصة والقضايا الهامة في البلاد الشرقية التي تناول هذا الشاعر في شعره بالدراسة والبحث إضافة إلى القضايا الوطنية التي حاربها في شعره. إن طبيعة هذا البحث الأدبي تقتضي أن تقوم على دراسة الموضوعية للأبيات والقصائد التي تحدث فيها حافظ عن الأمة العربية وعن الشرق والشعب الشرقي. فاتبع الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي.

نبذة عن حياة الشاعر:

ولد حافظ إبراهيم في الرابع من فبراير في عام1872م في ديروط، إحدى بلدان الصعيد، مصر. وكان أبوه إبراهيم فهمي مصريا صميما، يعمل مهندسا في ديروط، وكانت أمه "هانم بنت أحمد البورصة لي" من أسرة تركية الأصل. عاش إبراهيم حياة اليتيم، ما ذاق حنان الأب حيث فقد أباه وهو في الرابعة من عمره. انتقل مع أمه إلى القاهرة ليسكن في بيت خاله، وهناك ابتدأ تعليمه الابتدائي في المدرسة الخيرية، ثم التحق بعدد من المدارس، ولكن آخرها المدرسة الخديوية. شاء القدر أن ينتقل خاله إلى طنطا فانتقل هذا الشاعر مع أمه إلى طنطا، ولكن لم تطب له الحياة فيها. هناك أصبح حافظ في طنطا بلا مدرسة وبلا عمل. توجه إلى المحاماة للعمل وتراوح بين عدد من مكاتب المحامين، ثم تركها والتحق بالمدرسة الحربية وتخرج منها برتبة ملازم أول وهناك تم تعيينه في الحرب. ثم نقل إلى الداخلية ملاحظ- بولس- في بني سويف والإبراهيمية. ثم أعيد الحربية وسافر منها إلى السودان حيث لم يطق حافظ جو السودان ولا جفاء العيش فيها، فتبرم وأكثر من الشكوى حتى حدثت ثورة السودان في عام1899م. اتهم فيها ثمانية عشر ضابطا وكان منهم هذا الشاعر العبقري فحكموا عليه واحيلوا على الاستيداع. التمس حافظ إحالة إلى المعاش فأجيب طلبه. وكانت له صلة وصداقة بناظر المعارف حشمت الباشا الذي ساعده على تعيينه على منصب رئيس القسم الأدبي في دار الكتب المصرية عام1911م. ظل بها يعمل حتى فبراير في عام1932م. توفي حافظ إبراهيم في الساعة الخامسة من صباح الخميس21 يوليو في عام1932م.

كرس حافظ إبراهيم حياته بعد استقالته للقراءة وعكف على الدراسة لأمهات الكتب العربية الأدبية القديمة معتمدا على ذكائه الموهوبة وذاكرته القوية. لقد حفظ الكثير من الأبيات العربية الرائعة من الشعراء البارزين التي أيقظت موهبته الأدبية الشعرية الكامنة فيه ودفعته إلى أن يقرض الشعر على منوال الشعراء المعروفين أمثال بشار بن برد، أبو نواس، أبو تمام، المتنبي، البحتري والشريف رضي، ابن هاني الأندلسي وآخرين. مال حافظ إلى

العلوم الإسلامية فبدأ يحضر في مجلس الدروس للعلماء الأزهريين. وقد واظب في درس الشيخ محمد عبده فتأثر بأفكاره المنيرة وبآرائه الرائعة في الاجتماع والسياسة والدين. وهذا الاحتكاك والتواصل أصبح له نقطة التحول وخطة من خططه في عمله للإصلاح والشرق الإسلامي والنهضة المصرية الوطنية.

قد عثر حافظ على مبادئ الحضارة الشرقية والثقافة الإسلامية في مجالس سعد زغلول وقاسم أمين ومصطفى كامل والآخرين. كان يحضر في مجالس خليل مطران والبشري وأمثالهم ويستعرض فيها الأدب والقصص وحكايات المترجمة من الإنجليزية والفرنسية إلى العربية تنشر في الصحف والمجلات المصرية. أخذت الصحف تظهر بانتظام وتنشر الشعر والمقالات الأدبية. أخذ الشعراء يتنافسون في نشر إنتاجاتهم بالصحف، ودعاهم ذلك إلى أن يفكروا في الجمهور وأن يخاطبوا طبقاته الوسطى، ويغنوا عواطفها السياسية والوطنية والاجتماعية. وكان حافظ إبراهيم هو الصوت الأول الذي لبى حاجة الجماعة المصرية.[1]

العناصر الهامة في تكوين شخصيته الأدبية:

هناك عوامل مختلفة لعبت في تكوين شخصية حافظ إبراهيم الأدبية والشعرية، ومنها:

أولاً: جذوره المصرية التي أورث حافظ من أبيه وميله إلى الثقافة المصرية واتصاله بالشعب المصري واندماجه بالحياة المصرية.

ثانياً: قراءته الكثيرة في الكتب الأدبية القديمة، والحفظ الكثير من أشعار القدماء وآدابهم.

ثالثاً: صلته وشغفه بالشعر العباسي: ألف حافظ في الشعر العباس في أربعة مجلدات.

رابعاً: عصر البيئة المصرية التي اضطرب في مشاهدها الطبيعية وأحداثها القومية والسياسية.

خامساً: سفره إلى السودان حيث جرب حياة غير سعيدة، ثم اشتراكه في ثورة الجيش.

سادساً: احتذاء البارودي في الشعر. فكان البارودي مثله الأعلى، أخذ حافظ يطابق مطابقة تامة بين هذا المثل وشعره. فقد أحيا في شعره صيغه الجزلة الرصينة والبعث لأساليب العربية الأصيلة.

النزعة الوطنية في شعر حافظ إبراهيم:

النزعة الوطنية تعني بشكل عام شعورا بالوحدة الخاصة بين أفراد يشتركون باللغة والتاريخ والثقافة، بالإضافة إلى ارتباط هذه الجامعة بأحداث الماضي والتاريخ واشتراكها في السعي لتحقيق أماني وآمالي مستقبلية. تعد مصر من أسبق البلدان العربية في تطعيم الشعور القومي والتيار الوطني في شعبها قبل أن يظهر هذا التيار في الدول العربية الأخرى، وكان حافظ إبراهيم من رواد الشعراء الوطنيين المصريين. لقد أحس حافظ إبراهيم بآلام قومه وطموحاتهم وآمالهم من أحاسيس شديدة وعواطف قوية، إذ وقف حياته وموهبته كلها للشعب والوطن، ترتشف عواطفه الوطنية والنزعة القومية من الأبيات التي قرض في أي موضوع من المدح والرثاء والوصف. قد غلبت النزعة الوطنية على ذهنه كما تجلت في شعره كل الوضوح. وكان حافظ من رواد الشعراء الذين قادوا الحركة الوطنية بأشعارهم الرائعة التي اشتعلت عواطف الشبان الناشئين وحثتهم على المقاومة ضد الاحتلال والاستعمار والظلم والاستبداد.

حاول حافظ إبراهيم أن يوقظ شعبهم ويشعل حميتهم القومية ويحرضهم على الكفاح والجهاد لتحرير الوطن من براثن الاستعمار، وبعد الحرب العالمية الأولى قد كان يبدو لمصريين بأن المحتلين لست لهم نية وإرادة أن يغادروا مصر حسب وعدهم، وما بقي أمام الشعراء والكتاب أي سبيل لإنقاذ من هذه البلية العظيمة إلا أن ينادوا القوم لمناضلة الاحتلال الإنجليزي، قام حافظ إبراهيم وبدأ يوقظ الشباب من سباتهم العميق ويدعوهم لنيل الكرامة الماضية والعظمة المفقودة ويحرضهم على العمل والجهاد. يقول حافظ إبراهيم في قصيدة له:

مضى زمن التنويم يا نيل وانقضى ففي مصر أيقاظ على مصر تسهر
إذا الله أحيا أمة لن يردها إلى الموت قهار ولا متجبر
فكونوا رجالا عاملين أعزة وصونوا حمى أوطانكم فتحرروا[2]

كان حافظ إبراهيم يعتبر نفسه جزء لا يتجزأ من المجتمع المصري الذي كان يعيش فيه. قضى معظم حياته لوطنه الحبيب ولأمته ولصلاح شعبه. لقد كان يعتقد بأنه صاحب رسالة ، يعيش لأجلها ويكافح في سبيلها. حاول من خلال شعره أن يخرج وطنه وشعبه من براثن الاستعمار. وهو الشاعر العربي الذي حمل وطنه في صدره وعيونه ورموشه. "تفيض به قصائده عن مصر من قوة العاطفة، ومن صدق الإخلاص، ومن جلال الروعة مما يجعلك تحس إحساس ماديا بأن الوطن تجسد في نفس هذا الجندي الشاعر حتى ليكون حقا إذا أريد أن يكون لمصر تمثال أن يكون تمثال حافظ متلفعا في عبء الشاعر ممسكاً بإحدى يديه قيثارته والأخرى سيف الجندي، هو هذا التمثال الذي يرمز به لمصر."[3]

كان نفس حافظ مختلطا بالشعب وروحه ممتزجا بروح الوطنية. وكان قلبه مضطربا لقومه ويتمنى أن يسترد العزة والكرامة والحرية والرخاء للشعب المصري. يقول الدكتور طه حسين في هذا الصدد: "رحم الله حافظا لم يكن فردا يعيش لنفسه، وإنما كانت مصر كلها، بل الشرق كله، بل الإنسانية كله، فكثير الأحيان تعيش في هذا الرجل، تحس بحسه وتتألم بقلبه وتفكر بعقله وتنطق بلسانه، لا أعرف بين الشعراء هذه الأيام شاعرا جعلته طبيعته مرآة صافية صادقة لحياة نفسه ولحياة شعبه كحافظ رحمه الله، فالذين كانوا يستمعون له إذا أنشد الشعر في المجالس الخاصة والمجامع العامة يؤخذون بهاتين الصورتين الواضحتين كل الوضوح: صورة الشعب وما يجد من ألم وأمل وصورة حافظ ما يحس به من يأس رجاء.[4]هكذا نجد أن النزعة الوطنية غالبة على نفسه وتبرز بكل وضوح وصراحة في شعره.

النزعة الإسلامية في شعر حافظ إبراهيم:

إن حافظ حمل لواء الإسلام ورفع صوت الشرق طول حياته. يقدم للناس من خلال شعره أن الإسلام هو الحل الوحيد لكل مشاكلهم. إن قلب حافظ معمورا بالنزعات الإسلامية وكانت شخصيته ملونة بالصبغة الدينية. لقد رأى حافظ أن من أهم الأسباب هذا التخلف للأمة العربية هو البعد عن الدين. ذكر حافظ الناس بماضي المسلمين وحضارتهم العريقة. كان حافظ يقرض في الجانب الإسلامي ما ينظم القصائد الطوال في الذكريات الإسلامية الكبرى. وكان يستقبل ميلاد كل عام هجري جديد بإحدى روائعه. وكان الشيخ محمد عبده يذكي فيه هذا الروح، إذ كان لا يجد أجدى في مقاومة المحتل من بث الروح الإسلامية في النفوس ونشرها في الصدور والقلوب. رأى حافظ أن الإصلاح الاجتماعي والسياسي لا يستقيم إلا بإذكاء الروح الإسلامية لدى الشعوب العربية. لذلك اهتم بالتاريخ الإسلامي والمدائح النبوية وإصلاح وضع المرأة وتبنى قضايا الأمة. لقد قرض حافظ القصائد التي تدور حول أحداث أو بطولات وأبطال في تاريخ الأمة، كما مزج الحقائق التاريخية بروح الأسطورة والخيال. كان عمر بن الخطاب من الشخصيات التي تناولها حافظ بكل الاحترام والتعظيم في شعره، وكان ذلك يتردد في أبيات مفردة. لقد كان حافظ معجبا بشخصية عمر بن الخطاب. إن عمرية حافظ هي قصيدته الطويلة في سيرة عمر بن الخطاب مثل من الأمثلة على شعره الرفيع المنزلة في البلاغة. قد نال من شعره في سياق قصائده الأخرى من الإشارات التنويهات أكثر من غيره من الخلفاء. إن قصيدة "عمر الفاروق" التي تغنى فيها حافظ على أن عدله كان عدلا فريدا لا يمكن أن تنجزه أية شخصية أخرى في التاريخ.[5] وليس له نظير في الإنساني.

أما النزعة الإسلامية فتبدو في قصيدته العمرية التي قصرها على عمر بن الخطاب وأعماله الجليلة وإسهاماته البارزة في التاريخ الإسلامي كما تظهر نزعته الإسلامية في قصيدته التي قرضها في الخلافة العثمانية، إذا كان المسلمون يتجهون إليها في القرن الأول كما يتجهون إلى مكة المكرمة، فهذه قلب الإسلام الخافق وتلك سنده الذي يذود عنه بالسلاح. يقول في قصيدة له وهو يخاطب عمر بن الخطاب:

رأيت في الدين آراء موفقة فأنزل الله قرآنا يزكيها
وكنت أول من قرأت بصحبته عيني الحنيفة وأجازت أمانيها
قد كنت أعدى أعاديها فصرت لها بنعمة الله حصنا من أعاديها
فلم تكد تسمع الآيات بالغة حتى انكفأت تناوي من يناويها[6]

تقوم هذه القصيدة على عناصر درامية ملحمة تجعل شخصية عمر وما تنطوي عليه من عبقرية وخلود في التاريخ وفي السيرة الإسلامية. ونظرا لأهمية القصيدة العمرية التي تعد أشهر قصيدة نظمها حافظ في حياته تكشف لنا قيمتها الأدبية كما تتجلى فيها القيمة الإنسانية. لقد استخدم حافظ في هذه القصيدة ما يسمى في الأدب الروائي "flash back" يعني استحضار الماضي وإلقاء الضوء عليه. يصدر حافظ بهذه الملحمة الشعرية عن روح إسلامية غيورة على الدين في ذروة نقائه وفطرته الروحية.

الخلافة العثمانية في شعر حافظ إبراهيم:

لقد كان حافظ إبراهيم محبا للأتراك ومخلصا لهم ومعترفا لخدماتهم الي قاموا بها في سبيل الإسلام والمسلمين. فكان حافظ إذا شعر في الترك الخلافة بأنه يتحدث عن قومه، يفتخر بنصرهم ويعتز بعزهم. لم يكن بدعا أن نرى الشاعر حافظ إبراهيم يسبح بشعره في نفس الفلك ويساير به الجو الأدبي العام الذي كان يسيطر على بلاد الشرق. رأى حافظ الدولة العثمانية هي دولة الله في الأرض وعند سلاطينها رسالة مقدسة هي الدفاع عن الإسلام وحمايته واتساعه في الآفاق. يقول حافظ وهو يمدح الخلافة العثمانية:

لقد مكن الرحمن في الأرض دولة لعثمان لا تغفوا ولا تشعب
بناها فظنتها الدراري منازلا لبدر الدجى تبنى ولسع تنصب
وقام رجالها الإمامة بعده فزادا على ذاك البناء وطنبوا
وردا على الإسلام عهد شبابه وداموا له جاها يرجى ويرهب[7]

قرض حافظ إبراهيم أبياتا كثيرة عن الخلافة الإسلامية وذكر الأتراك والعرب وأبطال المسلمين. لقد حزن قلبه على انحطاط المسلمين وهبوط الخلافة الإسلامية وهناك قصائد في الخلافة العثمانية فكان يمدح الأتراك. يعبر حافظ إبراهيم قلقه وهمه عن الغاء الخلافة من حادثة فاجعة ويبكي على إلغاءها وهو يعبر عن خلجات قلبه وعواطفه ووجدانه في هذه الأبيات:

يا آل عثمان ما هذا الجفاء لنا ونحن في الله إخوان وفي الكتب
تركتمونا لأقوام تحالفنا في الدين والفضل والأخلاق والآداب[8]

لقد أعرب حافظ إبراهيم في هذه القصيدة قلقه واضطرابه على إلغاء الخلافة العثمانية وذكر فيها الخصائص الدولة التركية وانجازاتها في توحيد المسلمين على منصة واحدة كما ذكر على وجه الخصوص خصائص الأتراك وخدماتهم البارزة للمسلمين والعرب. ولا شك في أنهم قد قاموا بدور بارز لإحياء الأمة وإعلاء الحضارة الإسلامية. وكان هذا الاتجاه نحو الخلافة الإسلامية تأييد فكرة الجامعة الإسلامية تيارا أساسيا في الفكر السياسي المصري منذ أواخر القرن التاسع عشر إلى أول ما بعد الحرب العالمية الأولى. وكان لذلك الاتجاه دوافعه الدينية

والوطنية التي تتلخص في الخوف على ديار الإسلام من الخطر الأوروبي الذي اشتد على المسلمين في منتصف القرن التاسع عشر حين أخذت أوربا تغرس مخالبها في كثير من بلاد العالم الإسلامي. قد بكى الشعراء المصريون على خلع السلطان عبد الحميد لأنهم يعتقدونه قائدا روحيا ومحورا للجامعة الإسلامية. نجد أن حافظ يسيل دموعه على سقوط الخليفة والخلافة العثمانية. وهو يقول:

أيا صوفيا حان التفرق فأذكري عهود كرام فيك صلوا وسلموا
إذا عدت يوما للصليب وأهله وحلى نواحيك المسيح ومريم
ودقت نواقيس وقام مزمر من الروم في محرابه يترنم
فلا تتكر عهد المآذن إنه على الله من عهد النواقيس أكرم[9]

الوحدة العربية في شعر حافظ إبراهيم:

كان حافظ شاعرا قريبا من الشعب يصور أحداث مجتمعه تصويرا صادقا في شعره، فشعره مليء بأحداث السياسية والوطنية والاجتماعية. وبعد ما وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، احتل الاستعمار على معظم البلدان العربية مثل الشام والعراق والسودان، فأصبح الغرب عدوا مشتركا لدى أقوام العرب، وبدأت تنمو فكرة الوحدة العربية لدى شعراء مصر. قد اهتم الكتاب إبراز الشخصيات العربية والأبطال الإسلامية ويشيدون مأثرهم الاجتماعية والثقافية. وفي هذه الفترة من التاريخ ظهرت تراجم وقصص وروايات على الأبطال الإسلامية. أمثال "حياة محمد" لمحمد حسين هيكل، و "محمد" لتوفيق الحكيم و"على هامش السيرة" لطه حسين "وسلسة "العبقريات" لعباس محمود العقاد. ولم يتخلف الشعراء في هذا المجال وبدأوا يقرضون القصائد في أبطال العروبة والإسلام. لقد أنشد شعراء العرب أمجادهم وذكروا عن عبقرياتهم ليستنهضوا العرب وينفخوا فيهم روح العزة والكرامة والشرف والافتخار وأعادوا ثقتهم على كونهم أمة عربية شرقية.

قرض الشعراء العرب القصائد في بطولات أبي بكر وعمر وخالد بن الوليد وصلاح الدين الأيوبي من القواد العظام الذين كان لهم شأن في تاريخ العروبة والإسلام. أصدر حافظ إبراهيم قصيدته الطويلة في مناقب عمر بن الخطاب. تحتوي هذه القصيدة مائة وتسعين بيتا. يقول حافظ في مطلع هذه القصيدة:

حسب القوافي وحسبي حين ألقيها أني إلى ساحة الفاروق أهديها
هذي مناقبه في عهد دولته للشاهدين وللأعقاب أحكيها
لعل في أمة الإسلام نابتة تجلو لحاضر مرآة ماضيها
وحسبها أن ترى ما كان من عمر حتى ينبه منها عين غافيها[10]

نلاحظ مظاهر العروبة والوحدة العربية والملامح الشرقية في قصيدته "تحية الشام" وهو يتمنى أن يكون الاتفاق والوئام بين الدول العربية رأى حافظ أن العروبة مرتبطة بالإسلام والشعوب العربي تتمسك بالإسلام ومبادئ السمحة التي وحدت هذه الشعوب وجعلت من وحدتها قوة بين الأمة العربية والشرقية.

العروبة والعربية في شعر حافظ إبراهيم:

إن الحس المرهف لا يمكن أن يسمح للشاعر أن يعيش في عزلة عن قضايا بيئته ومشكلاتها. لقد أبى حافظ إبراهيم أن يعزل العروبة عن الإسلام، قام حافظ بارتباط العروبة بالإسلام لأنه رأى أن حماية العروبة واجبا دينيا، وجلاء الأعداء المحتلين من الشرق من صميم وجدان المسلم الذي يأبى الذل والهوان بطبعه، لأن الفكرة القومية العربية كانت مختلطة بالمفهوم الديني. إذ يعبر عن ذلك فهو ينطلق الوجدان المشترك. وقد كان حافظ ممن تتبنوا قضاياهم. وكان عنده حالها المعبر عن منحها وآلامها تطلعاتها.

وهو يقول:

لي موطن في ربوع النيل أعظمه ... وفي هنا في حماكم موطن ثاني
إني رأيت على أهرامها حللا ... من الجلال أراها فوق لبنان
النيل وهو إلى الأردن في شغف ... يهدي إلى بردي أشواق ولهان
وفي العراق به وجد بدجلة ... وبالفرات وتحنان يسيحان
فعلموا كل حي عند مولده ... عليك لله والأوطان دينان[11]

وقد كانت فكرة الجامعة الإسلامية التي نرى فيها رابطة الدين أقوى الروابط، وفي الخليفة العثماني حامي حمي الإسلام والأمة الإسلامية. لقد كانت الوحدة العربية هاجسا شغل الكثير حافظ إبراهيم في شعره. دعا حافظ من خلال شعره إلى الإخاء بين الشعوب العربية والقضاء على من يبذر البغضاء بينهم. بذل حافظ كل ما في وسعه في سبيل وحدة الشرق التي تقوم على عروة وثقى لا تنفصم.

القضايا الاجتماعية في شعر حافظ إبراهيم:

إن حافظ إبراهيم تميز بحسه الإنساني العالي وحبه للمشاركة الشعب في أفراحه وأحزانه ومعاناته من خلال شعره. قضى حافظ إبراهيم معظم حياته بين عامة الشعب واشترك في آلامه وهمومه وأحس شدائده بأضعاف من عامة الناس لأنه كان مرهف الحس وعميق الشعور. طفق حافظ يرافق الأحداث بشعره كما أنه رافقها في الجندية بشخصه، فلم يترك مناسبة اجتماعية وسياسية مرت دون أن ينظم فيها قصيدة، ولم يمت عظيم دون أن يؤنبه، ولم يهتز الناس لحادثة إلا سبق إلى التحدث عن أثرها في نفسه.[12]

كان حافظ هو شاعر اجتماعي ويعبر عن آمال الشعب وقلقه واضطراباته ويمهد لهم طريقا إلى العزة والكرامة والمجد والرفعة والإنقاذ من مظالم المحتلين، وهو كثيرا ما يقتبس موضوعاته الاجتماعية من أبرز شخصيات المجتمع المصري. كان حافظ يشارك في مجالس الشيخ محمد عبده وسعد زغلول ويستمد من أفكارهم الاجتماعية والسياسة موضوعا لقصائده وكذلك يتخذ الموضوعات لأشعاره من المقالات الاجتماعية تنشر في الجرائد والمجلات. قد حمل لواء الشعر الاجتماعي في مصر وتوجه قبل كل شيء إلى تعليم الشعب ومحو الأمية والاهداء إلى طريق الحرية والعدالة الاجتماعية. يقول حافظ في قصيدة له وهو يحث على تأييد شروع الجامعة سنة 1908م :

حياكم الله أحيوا العلم والأدبا ... إن تنشروا العلم ينشر فيكم العربا
ولا حياة لكم إلا بجامعة ... تكون أماً لطلاب العلا وأبا
تبني الرجال وتبني كل شاهقة ... من المعالي وتبنى العز والغلبا[13]

إن حادثة دانشوى لها أهمية بالغة في تاريخ مصر الاجتماعي والسياسي. لقد هزت هذه المأساة نفوس المصريين والعرب جميعا وبخاصة نفوس الكتاب والشعراء الذين جعلوها علامة لمظالم الاحتلال الإنجليزي وصورة فاجعة لاستبدادهم، لا نجد أي شاعر اجتماعي أو كاتب عربي إلا جعلها موضوعا لإظهار غضبه واستنكاره ضد حكام الإنجليز. وهذا هو حافظ إبراهيم الذي خلد هذه المأساة وجسدها بعاطفته الصادقة. كان فؤاده يضطرم وعينه يسيل دموع الدم وصدره يغلي غضبا عندما صلب وجلد حكام الإنجليز أبناء مصر الأبرياء أمام الناس. عرض حافظ إبراهيم صورة هذه الحادثة الفاجعة في شعره. وهو يقول:

إنما نحن والحمام سواء ... لم تغادر أطوافنا الأجياد
جاء جهالنا بأمر وجئتم ... ضعف ضعيفة قسوة واستبداد
ليت شعري أتلك محكمة التف ... تيش عادت أم عهد نيرون عاد[14]

إن القضايا الاجتماعية كانت طابعة غالبة في شعر حافظ إبراهيم. فما كانت حادثة حدثت في مصر أوفي الشرق إلا جعلها حافظ موضوعا لقصيدته. كان حافظ شديد التأثر بالشعب وآلامه، فإذا حزن الشعب لموت مصلح كبير مثل الشيخ محمد عبده أو مصطفى كامل انطبع هذا الحزن في نفسه. فكان حافظ يشعر بما يشعر به شعبه شعورا دقيقا لأن نفسه كانت مصرية خالصة. استطاع حافظ أن يصوغ هذا الشعور في لغة جزلة متينة باهرة. وكان من حظه أنه قد عاش أيام بؤس مصر كلها، ذاق مرارتها وتجرع غصصها الشاملة، وشارك في الجهاد الوطني بأوفى نصيب حينما سخر شعره وأوقف على قضايا وطنية وقضايا العروبة والإسلام.

القضايا السياسية في شعر حافظ إبراهيم:

إن ارتباط الشاعر بقضايا عصره على اختلاف أنواعها وأشكالها وبمشكلات الحياة في المجتمع الذي يعيش فيه ليس شيئا غريبا على طبيعة الشاعر. فقد كان حافظ أمة في رجل، وكانت شخصيته شخصية فذة متعددة الجوانب. ولعل باب السياسة من أهم أبواب في شعره. لقد تأثر حافظ بمنهج استاذه في السياسة والاجتماع منذ أن أتصل به، لذا نجد أن حافظ تأثر برأي استاذه الفهيم وكان يردد تلك النغمة التي كان يرددها الشيخ محمد عبده- على رغم وطنيته- نغمة الإعجاب بهم والإطراء لمزاياهم.[15]فنراه ينشد حافظ الانجليز ويمدحهم في قصيدة عنوانها" تهنئة جلالة إدوارد السابع بتتويجه" وهو يقول:

يا دولة فوق أعلام لها أسد تخشى بوادره الدنيا إذا زأرا
بالأمس كانت عليك الشمس ضاحية واليوم فوق ذراك البدر قد سفرا
من ذا يناديك والأقدار جارية بما تشائين، والدنيا لمن قهرا
إذا ابتسمت لنا فالدهر مبتسم وإن كشرت لنا عن نابه كشرا
يؤول عرشك من شمس إلى قمر إن غابت الشمس أولت تاجها القمر[16]

ولكن هناك سؤال مهم، هل كان حافظ صادقا في حبه تجاه الإنجليز أو كان يمدحهم خوفا من السجن والعتاب، إنه أجاب نفسه هذا السؤال وقال: "إني أخاف السجن ولست احتمله"[17] لقد غير حافظ إبراهيم موقفه السياسة بعد موت استاذه الشيخ محمد عبده، لأنه كان في طبعه وطنيا صادقا لم يختفى حبه للوطن لمدة طويلة، ولم يكن ممن يؤيدون حكم الإنجليز والاستعمار في مصر، فبدأ يستجيب لنداء وطنيته الكامنة في نفسه ولنداء الرجال الوطنيين الذين لا يرون في المحتلين ورجالهم خيرا. شارك حافظ مع الوطنيين المناضلين للحرية والاستقلال وحمل لواء الشعر الوطني والاجتماعي، يلهب حماس الجماهير ويدفعهم إلى الثورة على الاستعمار والمستعمرين. نصب حافظ نفسه وأوقف حياته من أجل رسالته التي ارتضاها لنفسه والتي دفعته إليها حبه المثالي لوطنه. تناول حافظ إبراهيم في شعره القضايا السياسية وأعرب موقفه من السياسة المصرية وأظهر معاناة الناس والمجتمع من خلال شعره. ومن أروع ما قاله في القضايا السياسة قصيدته في حاثة "دانشوى" وقد نظمها على هذا النمط الساحر: وهو يقول:

أيها القائمون بالأمر فينا هل نسيتم ولاءنا والوداد
خفضوا جيشكم وناموا هنيا وابتغوا صيدكم وجوبوا البلاد
وإذا أعوزتكم ذات طوق بين تلك الربى فصيدا العباد
إنما نحن والحمام سواء لم تغادر أطواقنا الأجياد[18]

نلاحظ في هذه القصيدة شعره السياسي ضرب من الحذر والاحتياط. فهو لا يثور على الإنجليز ثورة عنيفة، بل يشفع الثورة عليهم بضرب من اللباقة والحيلة.

النزعة الإنسانية كما تتجلى في شعر حافظ إبراهيم:

الإنسانية في مفهومها العام هي نظرة واسعة إلى الحياة وإلى الوجود وعلى الأخص إلى المجتمع البشري. النزعة الإنسانية هي الحلم الأكبر الذي يراود أفكار المفكرين والشعراء والفلاسفة. ومن معاني هذه الإنسانية نشر المبادئ السامية والمثل العليا بين الناس ومحاربة النظم التي تباعد بين الإنسان وأخيه الإنسان، والعمل على خلق مجتمع إنساني أمثل يسود العدل والرحمة والمحبة والسلام، وعلى تخفيف الشقاء الإنساني وتصوير الحياة بصورة محببة إلى النفوس. النزعة الإنسانية هي نزعة البشر إلى الخير والحب والشفقة والرحمة والإصلاح، وقد أخذت هذه النزعة الإنسانية تبرز بصورة أكبر في الشعر العربي المعاصر، ثم إن بروز الجماهير على الساحة العالمية وطرحها القضايا الإنسانية والاجتماعية ونضالها الدائب من أجل السلام والحرية والعدل قد أثر في الشعر العربي المعاصر. النزعة الإنسانية في الأدب والشعر هي أن يتناول الكاتب أو الشاعر موضوعات بها صلة بمشاكل الحياة وآلامها وأحزانها، والمراد بالنزعة الإنسانية هو التعبير عن المشاكل والأحزان التي يعانيها أفراد المجتمع، تغلب العاطفة الإنسانية على نفسه وشعره من الناحية العامة. إن معرفة الإنسان من أهم القضايا التي اهتمها حافظ إبراهيم في شعره اهتماما استثنائيا حيث لعبت هذه الرؤية دورا أساسيا في أدبه وشعره. حاول حافظ أن يستخدم موهبته الشعرية وسيلة إلى غايات وأهداف إنسانية. يقول الدكتور عبد اللطيف شرارة في هذا الصدد: "ليست هموم حافظ في معظمها شخصية، وإنما هي قبل كل شيء وكنية، ثم قومية، ثم إنسانية أوهي إنسانية في الدرجة الأولى وعنها تنحدر الدرجات الوطنية والقومية، وهذا ينبئ عن حس إنساني مرهف."[(19)]لقد حزن حافظ على أهالي سينا حينما نكبوا بالزلزال. فقال:

فسلام عليك يوم تولد يت بما فيك من مغان حسان
وسلام من كل حي على الأر ض على كل هالك فيك فان
وسلام على امرئ جاء بالد مع وثنى بالأصفر الرنان
ذاك حق الإنسان عند بني الإ نسان لم أدعكم إلى إحسان[(20)]

لقد أعرب حافظ إبراهيم في هذه القصيدة حزنه العميق برقيق العاطفة، شديد الحساسية، إذ تجرح قلبه وتدميه مناظر البؤس والشقاء. يخاطب حافظ في بداية القصيدة بكلمة "سلام" التي تحمل الكثير من معاني الحب والإخلاص، فهو لا يفرق بين الناس مهما اختلفت ألوانهم وأجناسهم، فهو يشاركهم معاناتهم وآلامهم. توجد في هذه القصيدة لوحة إنسانية رسمها حافظ إبراهيم بألوان تفجرت من نفسه الحساسة وموهبتها الرفيعة، إضافة إلى ذلك برع الشاعر في طرح تلك المشكلات المحيلة المؤلمة والتي تشكل في حقيقتها مأساة البشرية جمعاء.

ظاهرة الحب للغة العربية في شعر حافظ إبراهيم:

إن اللغة هي الظاهرة الأولى في كل عمل فني ليستخدم الكلمة أداة التغيير والإبانة عن الذات. أما اللغة العربية فهي النافذة التي نطل من خلالها إلى العالم. وهي مفتاح الذهبي الصغير الذي يفتح كل الأبواب، والجناح الناعم الذي ينقلنا إلى شتى الآفاق. كان حافظ إبراهيم يعتقد أن بقاء اللغة العربية الفصيحة على صورتها الأصيلة وحمايتها من الركاكة والعامية لازمة لازدهار الأمة المصرية العربية الإسلامية. وقد رأى حافظ إبراهيم أن اللغة العربية هي اللغة التي وحدت الأمة العربية في كل عصر وحفظت تراثها ورفعت عظمتها وتطودت الصلات والعلاقات والودية بين الدول العربية. وكان حافظ إبراهيم يعتقد كل الاعتقاد بأن الأمم الراقية تهتم لاحتفاظ لغتهم اهتماما بالغا على صورتها الأصيلة لأن بقاء حضارتهم وثقافتهم ينحصر على سلامة لغتهم. والأمم التي لم تهتم بصيانة لغتها فقدت وجودها وغابت ثقافتها وحضارتها من العالم.

وعندما حاول الشعراء المجددون ينهضوا اللغة العامية في قصائدهم خاف حافظ إبراهم على فقدان اللغة العربية الفصحى واضطر إلى قرض قصيدة طويلة في الدفاع عن اللغة العربية الفصحي. أصدر حافظ إبراهم قصيدة باسم" اللغة العربية" ودافع عن فصاحة اللغة العربية ووسعتها وبلاغتها. لقد أبرز حافظ أهمية اللغة العربية في عصر التكنولوجيا واعتبر صيانتها من الواجبات الدينية لأن سبحانه وتعالى قد أختار اللغة العربية لكتابه الحكيم وخلدها في العالم. رأى حافظ أن اللغة العربية هي اللغة التي ترك فيها أسلافنا الأثار العلمية والباهرة إلى القرون، وما شكى أحد بضائقتها وعدم وسعتها. انتقد حافظ على أنصار اللغة العربية العامية نقدا لاذعا وبذل كل ما في وسعه لحماية اللغة العربية الفصحى، لأنه رأى أن اللغة العربية الفصحى من أهم المقومات الوطنية. فرفع صوته على حماية اللغة العربية الفصيحة تحت شعار جديد وهو "لسان اللغة العربية" التي تستغيث أبنائها من العرب أن يقوموا لحمايتها. يقول حافظ إبراهيم مطلع قصيدته:

رجعت نفسي فاتهمت حصاتي ونداديت قومي فاحتسبت حياتي
رموني بعقم في الشباب وليتني عقمت فلم أجزع لقول عداتي
وسعت كتاب الله لفظا وغاية وما ضقت عن آي به وعظات
أنا البحر في أحشائه الدر الكامن فهل سألوها الغواص عن صدفاتي[21]

رأى حافظ إبراهيم أن الاعتزاز باللغة العربية ليس وليد الاعتزاز بذات اللغة، بقدر ما هو اعتزاز بالثقافة التي تمثلها هذه اللغة. واللغة العربية هي اللغة التي تمثل الثقافة العربية والثقافة الشرقية. واللغة العربية في ماضيها المجيد وتراثها العريق تأتي في مقدمة اللغات التي نجحت في القيام بدورها الحضاري الرفيع وارتقت بالأمه العربية لتكون رائدة الحضارة والمعرفة على مستوى العالم. ويكفي لنا أن نتذكر أنها شرفت بحمل آخر رسالات السماء إلى الأرض بلسان عربي مبين.

الحضارة الفرعونية كما تنعكس في شعر حافظ إبراهيم:

لجأ الشعراء المجددين إلى إحياء وذكر أمجادهم والارتباط بماضيهم العريق، ولذلك كان لا بد أن قام حافظ إلى الحضارة الفرعونية لإيقاظ الهمم وبعث الثقة في الشعب المصري. إن حافظ إبراهيم كان مولعا بالحضارة الفرعونية المصرية القديمة ومعجبا بأوصافها ومعارفها. حاول الشعراء المصريون أن يدافعوا شخصيتهم المصرية دون هويتهم العربية ويربطوا أنفسهم بحضارة الفراعنة التي استمرت نحو خمسة آلاف سنة. وكان أحمد شوقي من طليعة هذا التيار الإقليمي المصري وأصدر قصيدته" كبار الحوادث في وادي النيل". وهذه القصيدة تعد البذرة الأولى لانعاش الحضارة الفرعونية في تاريخ مصر. يعتز حافظ بأنه جزء من حضارة الفرعونية القديمة.[22] قد تأثر حافظ إبراهيم بهذه القصيدة التي كتبها أحمد شوقي في تأييد الحضارة الفرعونية. ولم يمكث أن أصدر قصيدته تحت عنوان" مصر" وأثبت دعائم الحضارة الفرعونية القديمة في نفوس المصريين دون الشرقية والعربية. يقول حافظ:

وقف الخلق ينظر جميعا كيف ابنى قواعد المجد وحدى
وبناة الأهرام في سالف الدهر كفوني الكلام عند التحدي
أنا تاج العلاء في مفرق الشرق ودراته فرائد عقدي
أي شيء في الغرب قد بهر الناس جمالا ولم يكن منه عندي
فترابي تبر ونهري فرات وسماني مصقولة كالفرند
ورجالي لو أنصفوهم لسادوا من كهول ملء العيون مرد
لو أصابوا لهم مجالا لأبدوا معجزات الذكاء في كل قصد

أنا إن قدر الإله مماتي لا ترى الشرق يرفع رأسي
هل وقفتم بقمة الهرم الأكبر يوما فرأيتم بعض جهدي
هل فهمتم أسرار ما كان عندي من علوم مخبوء طي بردي
إنما الحق قوة من قوى الأديان أمضي من كل أبيض وهندي
أنا أم التشريع قد أخذ الرومان عني الأصول في كل حد
ورصدت النجوم منذ ضاقت في سماء الدجى فأحكمت رصدى
وشدا "بنتور" فوق ربوعي قبل عهد اليونان وعهد مجد[23]

رسم حافظ إبراهيم في هذه القصيدة ووصف مصر من أمجادها الفرعونية. وما زال يعرض هذه أمجاد في الفن والتشريع والسياسة. ثم عرض لغزاتها وكيف أن راميا لم يرمها بسهم إلا رد في نحوه. ثم تحول حافظ إلى الاستعمار البغيض وصور كفاح المصريين وقدم رؤيته لمصر الحديثة. بنى حافظ في هذه القصيدة الطويلة قصر افتخاره ويعتزه على مأثر حضارة الفراعنة العلمية والثقافية دون أن يشير في بيت واحد إلى تراث العرب في مصر أو في الدول العربية الأخرى. وهو يفتخر على الأقدمية في الحضارة المصرية الفرعونية من حيث النقوش والتحنيط والتشريع والترصيد للنجوم وصنعة الأسطول.

الملامح الشرقية كما تتجلى في شعر حافظ إبراهيم:

كان حافظ إبراهيم يمتلك ثقافة عربية شرقية خاصة وحضارة مصرية تامة. ومن أهم مصادر ثقافته هي تجاربه الشخصية الواسعة وذوقه الأدبي الرفيع. قد ذاق حافظ مرارة الحياة عمليا. كان حافظ إبراهيم شاعر الفكرة الشرقية بأوسع معانيها، في قيثارة الحان المجد الخالد، وأحزان الشرق الكليم. ولقد حاول حافظ أن تكون نغماته الشجيعة مبعث نهضة جبارة في الشرق كافة. فقد استطاع أن ينبه الأفكار في معظم أقطار ويثير القلوب لتحقيق ذلك الأمل المعسول.[24]تلمع الملامح الشرقية في معظم قصائده بكل لوضوح وصراحة. ولو عالج فيها القضايا السياسية والقضايا الوطنية فما من قصيدة إلا توجد فيها الروح الشرقية. عندما وضعت الحرب العالمية الأولى ظهرت النزعة الشرقية في الشعر العربي المعاصر. رأى حافظ إبراهيم في شخصية سعد زغلول زعيما شرقيا يتصدى للعرب. وقال:

لك وفقة في الشرق تعرفها العلاء
يخصها التكبير والتهليل
زلزل بها في الغرب كل مكابر
ليرى ويعلم ماحواه الغيل
لا تقرب (التاميز) وأحذر ورده
مهما بدالك أنه معسول
كم وارد يا (سعد) قبل ماءه
قد عاد عنه وفي الفؤاد غليل[25]

كان حافظ شاعرا شرقيا من قلب وقالب، من عقل وفكر. وكان قلبه يتغلغل بالروح الشرقية، وهو يعتقد كل الاعتقاد على عظمة الإسلام ورفعة الثقافة العربية والإسلامية. كان يجول نظره إلى اتحاد الشرق فيقلق قلبه برؤية مظالم الغرب فيها، ولم تكن وطنية محدودة لمصر، وإنما تمتد إلى الشرق كلها. وينظر إلى الغرب كعدو الشرق لأنه رأى أن الغرب هو ألبس الشرق أثواب الذل والفقر والبؤس والحرمان. يتمنى الشاعر النيل للشرق أن يتقدم إلى الرقي والازدهار كما تظهر في هذه الأبيات.

ياليتني لم أعاجل بالموت قبل الأوان
حتى أرى الشرق يسمو رغم اعتداء الزمان يسترد جلالا له ورفعة شأن
وليعلم الغرب أنا كأمة اليابان لا نرتضي العيش يجري في ذلة وهوان
أراهم أنزلونا منازل الحيوان وأخرجونا جميعا عن رتبة الإنسان

انطلق الشعراء المصريون يصورن الأحداث العالمية. فإذا انتصرت اليابان تغنى حافظ بالشرق وأمجاده. فلم يبق لحافظ أن قام بقرض الأبيات في أوصاف الشرق وطباع أهله لأنه كان يحب الثقافة العربية ويفتخر على الثقافة الشرقية. وفي هذه الأبيات نجد أن شعوره تجاه الشرق يظهر جليا في هذه الأبيات. نلاحظ في شعره صورة حياته وصورة شعبه وأفكار عصره الاجتماعية والسياسية.

فاطمئني أمم الشرق ولا تقنطي اليوم فإن الحد قاما
إن في أضلاعنا أفئدة تعشق المجد وتأبى أن تضاما

كانت الفكرة المصرية تلعب في حياة حافظ دورا هاما. تلك هي خامة الفكر المصرية عند حافظ التي تأثرت بالمنابيع الشرقية، إذ أنه قد استمد أغلب أبياته من ثقافته الشرقية. كان حافظ يؤمن بالحياة الشرقية وينادي بتقوية كتلة الروح الشرقية أمام كتلة الروح الغربية. تحدث حافظ إبراهيم عن الشرق في شعرهم، وإن جاء ذلك في شعر حافظ على شكل أبيات تتخلل في أثناء قصائده، إلا أنه كثير جدا. تميز حافظ بحسه الإنساني العالي وحبه للشرق وشعب الشرق وحبه للمشاركة في أفراحهم وأحزانهم من خلال شعره. يقول الشاعر وهو يمدح الشعب الياباني.

أنظروا إلى اليابان في الشرق وقد ركزت أعلامها فوق القمم
حاربوا الجهل وكانوا قبلنا في دجى عميانه حتى انهزم[26]

أمعن حافظ إبراهيم إلى الروح الشرقية ومن الروح الشرقية إلى التراث المصري. ولقد حاول حافظ أن يبعثه على أنه من أهم ينابيع الروح والفكر في الحضارة الشرقية والعالمية. اتسعت آفاق رؤيته للشرق بكل آلامه ومعناته. حاول أن يقدم لنا رؤية متعمقة متأملة للشرق بكل ما فيه من أفراح وأحزان، وبذلك استطاع أن يجسد لنا الكائن الشرقي بلحمه ودمه وروحه. ولقد أسس حافظ إبراهيم نظرة تحترم الآخر وترى دوره الفاعل في التاريخ الإنساني.

استنتاجات البحث:

لقد مارس في الأصناف الشعرية القديمة ومزج التجارب الذاتية وعالج القضايا الاجتماعية والوطنية وأعرب عما يدور في قلبه من الخلجات النفسية للإنسانية كلها. كان حافظ إبراهيم مولعا بالثقافة الشرقية ينعكس حبه لوطنه العربي وللشرق وللإنسانية في كل شعره. ومن أبرز الخصائص التي تتميز شعره وفنه هو صدق التصوير للحياة الشعبية والحياة الشرقية. لقد قدم حافظ نماذج متفاوتة من الشرق في تعاملها مع الحضارة الربية وتفاعلها وأغلبها كان متشربا بروح الشرق ومهتديا بنوره. لقد جسد حافظ إبراهيم في شعره نموذجا حيا للشرق في مستوياته القيمة النقية، فلم يرضي بالانحلال الخلقي، بل أنكر كل العلاقات المشبوهة التي تهدد قيمة الإنسان وحريته وتلوث طهارة روح الشرقية. أخذ حافظ يتطلع على علاقة عاطفية إنسانية تسمو بروحه وترتقي بمشاعره وتشبع طموحه إلى المثل العليا. اتبع حافظ في شعره الشعراء العباسيين ولكنه جدد في الأغراض والموضوعات وأضاف الأفكار الحديثة والمعاني الجديدة. كان يفكر دائما عن الشعب المصري ويتحدث عن آماله وآلامه. فما من قصدية قرض شاعر النيل

إلا انطبع فيها حياة الشعب المصري من الناحية الخاصة والشعب الشرقي من الناحية العامة. إن الملامح الشرقية كما تنعكس في شعر حافظ إبراهيم في الشرق هي المحبة والسلام والمثل الأعلى وروح الإسلام والنزعة الإنسانية.

الهوامش:

1 شوقي ضيف: الأدب العربي المعاص في مصر، دار المعارف عام 1961، ص، 106

2 محمد زغلول سلام: القومية العربية في الأدب الحديث، ص، 141

3 أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين، ص،98

4 المصدر السابق: ص، 37

5 نبيلة إبراهيم: سبقة شوقي وحافظ، مجلة فصول، العدد 2، عام 1983م ص، 22

6 ديوان حافظ - ج1 ص، 79

7 ديوان حافظ، ج-2، ص 17

8 ديوان حافظ، ج-2، ص، 119

9 المصدر السابق: ص، 89

10 المصدر السابق: ص،97

11 ديوان حافظ، ج-1، ص،134

12 عبد اللطيف شراره: حافظ دراسة تحليلية، ص، 19

13 ديوان حافظ، ج-1 (ماسأة دنشوى)

14 ديوان حافظ، ج-2، ص، 21

15الدسوقي عمر، في الأدب الحديث، دار الفكر، بيروت، ط-2، عام 2003م ص، 107

16 ديوان حافظ، ط-8 ص، 18

17 واصف أبو شباب، القديم والجديد في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية ، بيروت، عام 1998م ص، 61

18 المصدر السابق: ص، 21

19 عبد اللطيف شراره: حافظ دراسة تحليلية، ص،34

20 ديوان حافظ، ج-1، ص،220

21 المصدر السابق،

22 محمد زغلول سلام: الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص، 9

23 ديوان حافظ، ج2، ص،19

24 أحمد عبيد: ذكرى الشاعرين، ص،81

25 ديوان حافظ، ج–2، ص، 111

26 ديوان حافظ، ط– 8، ص، 569

المراجع والمصادر:

1- أحمد محفوظ، حياة حافظ إبراهيم، الناشر العربي، القاهرة مصر، 1996م

2- أحمد الطاهر، محاضرات عن حافظ إبراهيم، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، مصر1953م

3- أحمد أمين، مقدمة ديوان حافظ، ج-1، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1937م
4- أحمد عبيد، ذكرى شاعرين- حافظ إبراهيم، شاعر النيل، وأحمد شوقي، أمير الشعراء، عالمالكتب، بيروت، 1985م
5- أنيس الخوري المقدسي، الاتجاهات الأدبية الحديثة في العالم العربي الحديث، ج-1، جامعة بيروت الأمريكية، بيروت، 1953م
6- إبرهيم جمعه، القومية العربية- أصولها ومقدماتها وأثرها في تحرر العرب، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1958م
7- الرمادي جمال الدين ، حافظ إبراهيم: الشاعرالضاحك والحزين، صوت الشرق، العدد 117، يونيو، القاهرة، 1962م
8- الرمادي جمال الدين، من أعلام الأدب المعاصر، دار الفكر، القاهرة، مصر 1964م
9- الرافعي، عبد الرحمن، شعراء الوطنية في مصر، ط-1، دار المعارف، القاهرة، مصر 1966م
10- سند الجندي، عبد الحميد، حافظ إبراهيم شاعر النيل، ط-4، دار المعارف القاهرة، مصر 1992م
11- طه حسين، حافظ وشوقي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر2012م
12- عبد الله، السعيد محمود، حافظ إبراهيم دراسة تحليلية لسيرته وشعره، طباعة مركز الدلتا، القاهرة، مصر 1991م
13- عبد القادر القط، الاتجاه الوجداني في الشعر العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، 1978م
14- عبد اللطيف شرارة، حافظ إبراهيم، دراسة تحليلية، دار بيروتللطباعة والنشر، بيروت 1965م
15- عمر الدقاق، الإتجاهالقومي في الشعر العربي الحديث، ط-2، مكتبة الشرق، الحلب، 1963م
16- كامل جمعة، حافظ إبراهيم ما له وما عليه، مكتبة القاهرة الحديثة، مصر 1960م
17- محفوظ أحمد، حياة حافظ إبراهيم، مؤسسة نصار للنشر، القاهرة ، مصر 1996م
18- محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، 1956م
19- محمد زغلول سلام، القومية العربية في الأدب الحديث، دار المعارف، مصر، 1956م
20- واصف أبو شباب، القيم الجديدة في الشعر العربي الحديث، دار النهضة العربية، بيروت لبنان، 1998م